**الجامعة المستنصرية – كلية الآداب**

**قسم اللغة العربية**

**المرحلة الثانية – مناهج المفسرين**

**د. علي عيسى**

**محاضرة رقم ( 6 )**

**التفاسير العقائدية**

1. **تفاسير الفلاسفة**

حين بدأ العرب في العصر العباسي بترجمة كتب اليونان والرومان الفلسفية والعقلية والادبية، لم تجد بعض هذه الكتب قبولا لدى العلماء المسلمين، لأنهم وجدوها تتعارض مع الدين ولا تتفق معه بحال من الأحوال، فكرسوا حياتهم للردّ عليها ومناظرتها، وتحذير الناس منها، وكان على رأس هؤلاء: الإمام الغزالي والفخر الرازي، الذي تعرض في تفسيره لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظره متعارضة مع الدين، ومع القرآن على الأخص، فردها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحجة، وانقاد له الدليل، بينما اعجب بعض العلماء بما ورد في الكتب المترجمة، وقام بعض الفلاسفة كالغزالي بالرد على العلماء المعجبين بالفلسفة الغربية، ومن هنا نشأ الاتجاه الفلسفي في تفسير القرآن .

وقد أنقسم العلماء المسلمون الى فريقين في موقفهم من الفلسفة: فريق يرفض التوجه الفلسفي في التفسير، وقد اصطدم هذا الفريق – حين بدأ بالتفسير- بالنظريات الفلسفية وواجه آراءها التي كانت ذائعة في زمانه، فرأى أن من واجبه، كمفسر، أن يعرض لهذه النظريات ويمزجها بالتفسير، إما عن طريق الدفاع عنها وبيان أنها لا تتعارض مع نصوص القرآن الكريم، وذلك بالنسبة للنظريات الصحيحة عنده والمسلمة لديه، وإما على طريق الرد عليها، وبيان أنها لا يمكن أن تساير نصوص القرآن، وذلك بالنسبة للنظريات التي لا يسلّم بها.

أما الفريق المؤمن بالفلسفة، المصدق بكل ما فيها من نظريات وآراء، فإنه لما فسر القرآن الكريم، سلك طريقاً خطيراً. إذ أنه وضع الآراء الفلسفية أمام عينيه، ثم نظر من خلالها إلى القرآن الكريم، فشرح نصوصه وفق ما تمليه عليه نزعته الفلسفية المجردة من كل شيء إلا من التعصب الفلسفي. ومنه مثلا تفسير (فصوص الحكم) للفارابي، فقد فسّر بعض الآيات القرآنية، والحقائق الشرعية تفسيراً فلسفياً محضاً.   
فمن ذلك: أنه يفسر الأولية والآخرية الواردة في قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ}. تفسيراً أفلاطونياً مبنياً على القول بقدم العالم، فيقول: إنه الأول من جهة أنه منه ويصدر عنه كل موجود لغيره، وهو أول من جهة أنه بالوجود لغاية قربه منه، أول من جهة أن كل زماني ينسب إليه بكون، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء، ووجد إذ وجد معه لا فيه .

ويفسّر معنى (الآخرية) بقوله: هو الآخر؛ لأن الأشياء إذا لوحظت ونسبت إليه أسبابها ومباديها وقف عنده المنسوب، فهو آخر لأنه الغاية الحقيقية في كل طلب، فالغاية مثل السعادة في قولك: لم شربت الماء؟، فتقول: لتغيير المزاج، فيقال: ولم أردت أن يتغير المزاج؟ فتقول: للصحة، فيقال: لم طلبت الصحة؟ فتقول: للسعادة والخير، ثم لا يورد عليه سؤال يجب أن يجاب عنه، لأن السعادة والخير تطلب لذاته لا لغيره... فهو المعشوق الأول، فلذلك هو آخر كل غاية، أول في الفكرة آخر في الحصول، هو آخر من جهة أن كل زمان يتأخر عنه، ولا يوجد زمان متأخر عن الحق .

ولبيان الاتجاه الفلسفي في التفسير نتطرق الى رؤية ابن سينا لتفسير القرآن

**اتجاه ابن سينا في التفسير**

كان ابن سينا حريصاً كل الحرص على أن يوفق بين الدين والفلسفة، حتى يرضي ناحيتيه الدينية والفلسفية، وكان طبيعياً والقرآن هو الدعامة الأولى من دعائم الإسلام أن يوفق ابن سينا بين نصوص القرآن والنظريات الفلسفية التي تبدو معارضة لها.

نظر ابن سينا إلى القرآن وإلى الفلسفة، فحكم النظريات الفلسفية في النصوص القرآنية، فشرحها شرحاً فلسفياً بحتاً، وكانت طريقته التي يسلكها في شرحه غالباً هي شرح النصوص الشرعية بالآراء الفلسفية، وذلك لأنه كان يعتقد أن القرآن ما هو إلا رموز رمز بها النبي صلى الله عليه وسلم لحقائق تدق على أفهام العامة، وأخفى عنهم ما يعجز عن إدراكه عامة الناس إلا الخواص منهم، فحسب زعمه «إن المشترط على النبي أن يكون كلامه رمزاً، وألفاظه إيماء،وما كان يمكن للنبي أن يوقف على العلم أعرابياً جافياً، ولاسيما البشر كلهم، إذ كان مبعوثاً إليهم كلهم .

وعلى هذا الأساس نظر ابن سينا إلى نصوص القرآن كرموز لا يعرف حقيقتها إلا الخواص أمثاله، ففسرها تفسيراً حكم فيه ما لديه من نظريات فلسفية، فكان في عمله هذا بعيداً عن حقيقة الدين، وروح القرآن الكريم.

فمن ذلك مثلا يفسر أن ابن سينا (الجنة) و(النار) و(الصراط) تفسيراً فلسفياً بعيداً عن المأثور الثابت الصحيح، فيقسم العوالم إلى ثلاثة أقسام: عالم الحسّ، وعالم خيالي وهمي، وعالم عقلي، والعالم العقلي عنده هو الجنة، والعالم الخيالي هو النار، والعالم الحسي هو عالم القبور، أما الصراط، فيقول في شرحه: «اعلم أن العقل يحتاج في تصور أكثر الكليات إلى استقراء الجزئيات، فلا محالة أنها تحتاج إلى الحس الظاهر، فتعلم أنه يأخذ من الحس الظاهر إلى الخيال إلى الوهم، وهذا هو من الجحيم طريق وصراط دقيق صعب حتى يبلغ ذاته العقل، فهو إذن يرى كيف الحد صراطاً وطريقاً في عالم الجحيم، فإن جاوزه بلغ عالم العقل، فإن وقف فيه وتخيل الوهم عقلاً، وما يشير إليه حقاً، فقد وقف على الجحيم، وسكن في جهنم، وهلك وخسر خسراناً مبيناً.

ويفسر قوله تعالى في سورة الناس {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}، فيقول: «الجنّ هو الاستتار، والإنس هو الاستئناس، فالأمور المستترة هي الحواس الباطنة، والمستأنسة هي الحواس الظاهرة .

**المصادر :**

1. **مناهج المفسرين / الدكتور مساعد مسلم ال جعفر ، الدكتور محيي هلال السرحان، الرياض، دار المعرفة ، ط 1، 1980 .**
2. **مناهج التفسير واتجاهاته ، دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم، محمد علي رضائي، تعريب قاسم البيضاني ، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط3، 2011 .**
3. **المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، نشر مؤسسة الصادق (ع)، موقع** [**https://books.rafed.net/view.php?type=c\_fbook&b\_id=39**](https://books.rafed.net/view.php?type=c_fbook&b_id=39)